﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إظـهـارُ عـجـزِ آلـهـةِ المشركين المزعومةِ

لـمَّا أثبتَ تعالى أنَّ شأنه فِعْلُ ذلك وأمثاله من التَّفضيل والتّحويل على حسب علمه وقدرته؛ ثبت بغير شُبهةٍ ألَّا مفزع إلّا إليه، فأمر الله رسوله ﷺ تحقيقًا لذلك أن يأمرهم بما يُظهر به عجزَ شُركائهم؛ ردًّا عليهم في قولهم: لسنا بأهل لعبادته استقلالًا، فنحن نعبد بعضَ المقرَّبين؛ ليشفع لنا عنده، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿زَعَمۡتُم﴾: (زعم) الزّاء والعين والميم أصلان؛ أحدهما: القولُ من غير صحَّة ولا يقين، والآخر: التَّكفُّلُ بالشَّيء، فالأوَّل الزَّعْمُ والزُّعْمُ، وهو القول على غير صحَّة، والأصلُ الآخر: زَعَمَ بالشَّيء؛ إذا كَفَلَ به، ومن الباب الزَّعامَةُ؛ وهي السّيادة؛ لأنَّ السيِّد يَزْعُمُ بالأمور؛ أيْ: يَتَكَفَّلُ بِهَا[2]، والأصل الأوَّل هو المقصود هنا، وهو حكاية قولٍ يكون مظنَّةً للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كلِّ موضع ذُمَّ القائلون به[3]، وهو المعنى المُراد في الآية.

2) ﴿ٱلضُّرِّ﴾: أصله (ضرَّ)، والضّاد والرّاء ثلاثة أصول؛ الأوَّل: خلاف النَّفع، والثّاني: اجتماع الشَّيء، والثّالث: القوَّة، والمقصود هنا الأوَّل، وهو ضدُّ النَّفع[4]، وكثيرًا ما يُقابِل القرآنُ الضُّرَّ بالنَّفع، والضَّرَّاء بالسَّرَّاء والنَّعماء، ثمَّ يُحمَل على هذا كلُّ ما جانسه أو

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 449.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زعم).
(3) الرّاغب، المفردات: (زعم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضرّ).

قاربه[1]، فيكون الضُّرُّ المقصود في الآية: هو كلُّ ما يُصيب الإنسان من المؤذيات، كالمرض والفقر والقحط وسائر البلاء.

3) ﴿تَحۡوِيلًا﴾: أصله من (حول)، والحاء والواو واللّام أصل واحد، وهو تحرُّك في دَوْرٍ[2]، وحَوَّلْتُ الشيء، فَتَحَوَّلَ: غيَّرتَه، إمَّا بالذّات، وإمَّا بالحُكم والقول، ومنه قولُك: حوَّلتُ الكتابَ؛ وهو أن تنقل صورة ما فيه إلى غيره دون إزالة الصّورة الأولى، وقوله تعالى: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: 108]؛ أيْ: تحوُّلًا [3]، ومنه معنى التَّحويل في هذه الآية: فالمشركون لا يملكون تحريكَ العذاب وتغييره عنهم، أو نقله إلى غيرهم.

المَعْنى الإجْماليُّ:

توحيدُ المعبودِ الحقِّ، وبيانُ عجزِ المعبودِ بالباطل

ما زال السّياق في تقرير التَّوحيد، فيقول تعالى لرسوله: قل - أيُّها الرسول - لأولئك المشركين: ادعوا المعبوداتِ التي تنادونها لكشف الضُّرِّ عنكم؛ فإنَّهم لا يملكون أن يكشفوا الضُّرَّ عن مُبتلًى، ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدوٍّ له؛ فالقادر على ذلك هو الله وحده [4].

وتُرشدُ الآيةُ إلى أنَّ حُكمَها عامٌّ في كلِّ ما يُدْعى من دون الله، ميتًا كان أو غائبًا، من الأنبياء والصَّالحين وغيرهم، بلفظ الاستغاثة أو الدُّعاء أو غيرهما، فلا معبود بحقٍّ إلا الله، وإلى أنَّ دعاءَ مَن بهذه الصِّفة من كونهم لا كمالَ لهم ولا فِعالَ نافعة، فاتخاذهم آلهةً نقصٌ في الدِّين والعَقْل وسَفَهٌ في الرَّأي، وتُقرِّرُ التوحيدَ بالحُكم على عدم استجابةِ الآلهةِ المُدَّعاة لعابديها[5].

(1) الرّاغب، المُفردات: (ضرّ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حول).
(3) الرّاغب، المُفردات: (حول).
(4) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 7/ 306، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 287.
(5) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 460، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 7/ 306، ونخبة منَ العلماء، التّفسير المُيسَّر، ص: 287.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتةُ فصل قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾:

بـيـان المُـقـرَّبـين وإبطال الأصنام المزعومين

وردت الجملة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ مفصولةً عن الكلام قبلها؛ وذلك لأنَّها وقعت معترضة بين جملة: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ والجملة بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ إذْ لمَّا جرى ذِكْرُ الأفضلِين من الأنبياء في أثناء آية الردِّ على المشركين مقالتهم في اصطفاء محمد ﷺ - للرِّسالة واصطفاء أتباعه لولايته ودينه، وهي آية ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ إلى آخرها؛ جاءت المناسبةُ لردِّ مقالة أخرى من مقالاتهم الباطلة: وهي اعتذارهم عن عبادة الأصنام بأنَّهم ما يعبدونهم إلّا ليُقرِّبوهم إلى الله زلفى، فجعلوهم عبادًا مقرَّبين ووسائل لهم إلى الله، فلمّا جرى ذِكْر المقرَّبين حقًّا؛ جاءت مناسبة ذِكْرهم لتكون مَخْلَصًا إلى إبطال ما ادَّعَوهُ من وسيلة أصنامهم، على عادة إرشاد القرآن من اغتنام مناسبات الموعظة[1].

دلالةُ فعلِ الأمرِ ﴿قُلِ﴾:

إرشادُ النَّبيِّ ﷺ في محاجَّةِ قومِهِ

جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ فعل الأمر (قل)، وهو أمر من الله لرسوله ﷺ بأن يُجيبهم بهذا القول؛ وذلك أنَّه لمّا ابتلى الله قريشًا وأهلَ مكَّة بالقحط سنين، فشكَوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأمر الله نبيَّه الكريم بأن يُجيبهم بهذا الجواب[2].

دلالة فعل الأمر ﴿ٱدۡعُواْ﴾:

التـهـكُّـمُ بآلـهةِ الـكـفّـارِ وإثـبـاتِ عجزِها

عبَّر النَّظم الحكيم في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ بفعل الأمر ﴿ٱدۡعُواْ﴾، الذي يُفيد وجوبَ إيقاعِ الفعلِ في أصل الصِّيغةِ، غير أنَّ هذا الأمر خرج مخرجَ التَّهكُّم بهم، زيادة على كون

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 136.
(2) الواحديّ، البسيط: 13/ 368.

الأمر مُستعملًا في التّعجيز، لكنَّ التّهكُّم أسبق للقطع بأنَّ ما يدعونه لا يُغني عنهم شيئًا، فأمَرَ الله ﷻ رسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تحقيقًا لذلك أن يأمرهم بما يظهر به عجز شركائهم[1].

نكتةُ تعاقب فِعْلي الأمرِ:

قـوّةُ السّياقِ في إبـطـالِ شِـرْكِ الكفّارِ

ورد في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ فِعْلا أمرٍ، الأوَّل هو: ﴿قُلِ﴾، والثّاني: ﴿ٱدۡعُواْ﴾؛ فأمّا الأوَّل ﴿قُلِ﴾؛ فهو أمرٌ للنَّبيِّ ﷺ بأن يُبلِّغ عن الله كلامه للنّاس على جهة الوجوب، وأمّا الثّاني ﴿كُونُواْ﴾؛ فهو أمرٌ للكُفَّار على جهة التَّعجيز والتَّهكُّم، ويدلُّ توالي أفعال الأمر على قُوَّة السّياق، فهو مُحاججةٌ للكفَّار المُتَّخذين مع الله آلهةً ليُقرِّبوهم إليه زلفى.

وجهُ ارتباطِ هذه الأوامرِ بما تقدَّمها:

إبـطـال الـشِّـركِ بـبـرهـانِ الـعـقـلِ وبرهانِ الحِسِّ

جاء قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ متَّصلَ المعنى بآية ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: 42]، فبعد أن أبطل أن يكون مع الله آلهة ببرهان العقل، عاد إلى إبطال إلهيَّتهم المزعومة ببرهان الحِسِّ، وهو مشاهدة أنَّها لا تُغني عنهم كشف الضُّرِّ.

فأصل ارتباط الكلام هكذا: (ولقد فضَّلنا بعض النَّبيين على بعضٍ، وآتينا داود زبورًا، أولئك الّذين يدعون يبتغون) .. الآية، فبمناسبة الثَّناء عليهم بابتهالهم إلى ربِّهم، ذَكَرَ ضدَّ ذلك من دعاء المشركين آلهتهم، وقدَّم ذلك على الكلام الذي أثار المناسبة؛ اهتمامًا بإبطال فعلهم ليكون إبطالُه كالغَرَضِ المقصود، ويكون ذِكْرُ مقابله كالاستدلال على ذلك الغرض[2].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 449.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 139.

نكتة التَّعبير بـ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾:

كـذبُ المشركين وضعفُ عقولهم في ادِّعـاء آلهةٍ مع الله سبحانه

آثر النظم الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول وصلته ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾، والنُّكتةُ البلاغية في إيثار وضع الاسم الموصول موضع الاسم الظّاهر أنَّه يسمح بوصفه بجملة الصِّلة، فعبَّر عن آلهتهم بأنَّها مزعومة، فضلًا عن دلالة الاسم الموصول هنا على الذَّمِّ والتَّشهير بآلهتهم وبهم، قال ابن عباس: كل (زعم) في كتاب الله؛ فهو كذب[1]، فسمحت الصِّلة بأن يصير المعنى: الذين ادَّعيتم - كذبًا - أنَّهم آلهة من دون الله، فأشار إلى ضعف عقولهم، وعدم تثبُّتهم بالتّعبير بالزّعم[2].

معنى ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾:

انـحـطـاطُ رتـبـةِ الآلـهـةِ المزعومةِ عن رتبةِ المعبودِ الحقِّ

ورد في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ استعمالُ حرف الجرِّ ﴿مِّن﴾، وهي هنا بيانية بمعنى بيان انحطاط آلهتهم المزعومة، وسفول رتبتها عن رتبة المعبود الحقِّ سبحانه[3]، سواء أكانت الآلهة المزعومة ملائكةً، أم جِنًّا، أم أصنامًا، أم عُزَيْرًا، أم المسيح.

عود الضَّمير في ﴿دُونِهِۦ﴾:

حـذْفُ ما يُعلم جـائـزٌ إذا دلَّ عليه دليلٌ

يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ إلى الله ﷻ، والتقدير: (من دون الله)، وقد جاء الضمير، ولم يتقدَّم مرجعه؛ لأنَّ عود الضمير يُكتفَى فيه بكلِّ ما يُفهم، حتى قد يعود على ما لا ذِكر له، نحو: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: 32][4].

نكتةُ الالتفاتِ من التكلُّمِ إلى الغَيْبةِ:

حـكـايـةُ حِـجَـاج الـرَّسـول ﷺ للمشركين

في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ التفاتٌ بديعٌ من مقام التَّكلُّم في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ

(1) الواحدي، البسيط: 13/ 368.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 449.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 449.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 135.

زَبُورًا﴾ إلى مقام الغيبة في قوله: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾، والنُّكتةُ فيه أنَّه حكاية لقول الرسول ﷺ للمشركين عندما اشتكوا إليه القحط.

كما أنَّ الالتفات من افتنان العرب في الكلام وحُسن تصرُّفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب؛ كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ[1].

معنى الفاء في قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾:

الفاءُ الفصيحةُ تـؤكِّـدُ جـوابَ الشّرطِ المُقدَّرِ

جاء قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ مقرونًا بالفاء، وتُسمَّى الفاء الفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن جواب شرطٍ مُقدَّرٍ، تقديره: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله؛ فإن دعوتموهم؛ فلا يملكون كشف الضُّرِّ عنكم ولا تحويله)، والغرضُ من استعمال الفاء الفصيحة تأكيد الجواب.

معنى (لا) في السِّياق:

نفيُ إغناءِ الآلهةِ المـزعـومـةِ عـن المشركين

في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ استُعملت (لا) الدالَّةِ على النفي؛ وهي أقدم حروف النَّفي في العربية، وتتميَّز بدخولها على الأسماء والأفعال[2]؛ فهي غير مُختصَّة؛ ولهذا لا تَعمل.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿يَمْلِكُونَ﴾:

مـعـبـوداتُ المشركين آلهةٌ باطلةٌ عاجزةٌ على الدَّوامِ

في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ استُعمل الفعل (يَمْلِكُ) من المِلْكِ بمعنى الانتفاع والقدرة، كما في قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: 17]، وقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة: 76]، والمقصود من ذلك بيان البون بين الدُّعاء الحقِّ والدُّعاء الباطل، ومن نظائر هذا

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 1/ 14، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 245.
(2) فاضل السّامرّائي، معاني النحو: 4/ 69.

المعنى في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: 196 - 197]، كما أنَّ مجيء الفعل ﴿يَمْلِكُونَ﴾ بصيغة المضارع يقتضي استمرارَ عجزهم عن كشف الضُّرِّ، وتجدُّد العجز؛ فهم عاجزون على الدَّوام.

عود الضَّمير في ﴿يَمْلِكُونَ﴾:

تغليب العاقل على غير العاقل من معبوداتهم

ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ضميرُ الجمع (الواو) الدالُّ على جماعة العقلاء؛ ولهذا فقد ذهب بعض المُفسِّرين إلى أنَّ مرجعه لا بدَّ أن يكون من العقلاء، فالذين أمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم في هذه الآية، ليسوا عَبَدة الأصنام، وإنَّما هم عَبَدة مَن يعقل، واختلف في ذلك، فقال ابن عباس: هي في عَبَدة عُزيرٍ والمسيح وأمِّه ونحوهم، وقال ابن عباس أيضًا، وابن مسعود: هي في عَبَدة الملائكة، وقال ابن مسعود أيضًا: هي في عَبَدة شياطين كانوا في عهد رسول الله ﷺ؛ فأسلم أولئك الشياطين، وعَبَدتُهم بقُوا يعبدونهم؛ فنزلت الآية في ذلك[1].

كما استدلَّ أصحابُ هذا القول بأنَّ المُراد ليست الأصنام؛ بل مَنْ يعقل؛ لأنَّه تعالى قال في صفتهم في الآية الآتية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، وابتغاءُ الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام البتَّة[2].

وذهب بعض المفسِّرين إلى العموم تغليبًا للعاقل على غيره، فيشملُ الضَّميرُ الأصنامَ والشَّمس والقمر والكواكب والملائكة والجنَّ وعُزيرًا والمسيح وأمَّه، وكلَّ معبود من دون الله[3].

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/ 72.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/ 172.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/ 72.

بلاغةُ الاستعارةِ عن إزالةِ الضُّرِّ بكشفِهِ:

تضمَّن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ استعارةً تصريحيَّةً بليغةً، وهي التّعبير عن دفع الضُّرِّ والفقر والجوع والمرض والبؤس، بكشف الضرِّ بجامع الانجلاء، فمادة (كشف) في الأصل تعني: إبعاد السِّتار، أو اللِّباس أو ما شابهه عن شيء مُعيَّن، فإذا استُخدِمَت في تعبير ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ﴾؛ فتعني: إبعاد الحزن والغمِّ والمرض، والسَّبب في ذلك أنَّ هذه الأمور تُعَدُّ كالسّتار الذي يُغطِّي وجهَ الإنسان وجسمَه، إذ تُغطّي الوجه الحقيقيَّ الذي هو عبارة عن السَّلامة والراحة والهدوء، ولذلك فإنَّ إزالة الغمِّ والحزن يُعَدُّ كشفًا للضرِّ.

الدّلالةُ على كشفِ البلاءِ الذي يُغطّي وجهَ الإنسانِ وجسمَه

معنى (أل) في ﴿ٱلضُّرِّ﴾:

وَرَدَ لَفظُ ﴿ٱلضُّرِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ مُعَرَّفًا بأداةِ التَّعريفِ (أل) الدَّالَّة على تعريف الجنس المُقتضي للعموم؛ أيْ: جنس الضُّرِّ المعلوم الَّذي يُصيبكم، فكلُّ ما يدعوه المشركون لا يكشفُ عنهم أدنى ضرٍّ، ولو شوكة يشُاكونها، فضلًا عن الأضرار الجسيمة؛ كالمجاعة والبؤس والهلاك.

تعريفُ الجنسِ يقتضي عمومَ ما يُصيبُ المشركين

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ استُعمل حرف (الواو) الدالِّ على العطف، فالآلهة المزعومة التي يتَّخذها المشركون من دون الله، لا تستطيع إزالة الضُّرِّ عن الجميع، ولا إزالته عن واحدٍ إلى غيره، فهم إذًا لا يملكون هذه ولا هذه.

عجزُ آلهةِ المشركين المزعومة عن أيِّ نفعٍ

نكتةُ تنكيرِ ﴿تَحۡوِيلًا﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿تَحۡوِيلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾، والغرضُ البلاغيُّ من التّنكير فيها هو التّقليل، فمعبوداتهم الباطلة لا يستطيعون أقلَّ تحويلٍ لما يُصيبهم من الجَهد والبلاء، فضلًا عن أكثره من باب أَوْلى.

بلاغةُ نفيِ القليلِ فضلًا عن نفيِ الكثيرِ

غرضُ حذفِ مُتعلَّقِ التَّحويلِ:

الإيجازُ، وإظهارُ العجزِ المُتأصِّلِ في الآلـهـةِ الباطلةِ

حُذِفَ متعلَّقُ التَّحويل في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾، والتَّقدير: (ولا تحويل الضُّرّ)، فحُذِف إيجازًا؛ لكونه معلومًا من السّياق، وكذلك لأنَّ سياق الآية أبرزَ عجز آلهتهم الباطلة من أصله دون أفراده، إضافةً إلى رعاية الفاصلة للآيات السّابقة.

علَّةُ تقديمِ كشفِ الضُّرِّ على تحويلِهِ:

بلاغةُ التَّدلِّي من الأعلى إلى الأدنى

ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ تقديمُ كشف الضُّرِّ على تحويله على سبيل التَّدلِّي، فهم لا يستطيعون لا الأعلى ولا الأدنى منه، وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ تلك الآلهة العاجزةَ ليست لها القدرة للتّأثير الكامل في حلِّ المشكلات بصفةٍ نهائيةٍ، ولا القدرة على التَّأثير النّاقص في تغيير هذه المشكلات وحلِّها بصفة جزئيّةٍ، قال ابن عباس: "﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾؛ يريد: من السِّقم والفقر إلى الصِّحة والغِنَى"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الزَّعم والظَّنّ:

الظّنُّ أعمُّ دلالةً من الزَّعم

يتجلّى الفرق بين الزَّعم والظنِّ في علاقة العموم والخصوص بينهما، فالظنُّ عامٌّ في كل ما يحصل عن أمارة، ومتى قويت؛ أدَّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا؛ لم يتجاوز حدَّ التَّوهُّم[2]، في حين أنَّ الزَّعم خاصٌّ، ويُطلق في الغالب على القول الباطل والاعتقاد الفاسد والمشكوك فيه، ولهذا قال الليث: "سمعتُ أهلَ العربية يقولون: إذا قيل: ذَكَرَ فلانٌ كذا وكذا؛ فإنَّما يُقال ذلك لأمرٍ يُستَيقنُ أنَّه حقٌّ،

(1) الواحديّ، البسيط: 13/ 369.
(2) الرّاغب، المُفردات: (ظنّ).

فإذا شكَّ فيه، فلم يدرِ لعلَّه كذبٌ أو باطل؛ قيل: زعم فلان"[1]، وقد جاء في القرآن في كلِّ موضع ذُمَّ القائلون به بحكاية قول يكون مظنَّةً للكذب[2].

على أنَّ الآلوسيَّ قد ذَكَر أنَّه كثر استعماله أيضًا بمعنى: القول الحقِّ، وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: "زعم جبريل"[3]، وقد أكثر سيبويه في (الكتاب) من قوله: زعم الخليل كذا - في أشياء يرتضيها - في أكثر من ثلاثين موضعًا، وفي (شرح مسلم) للنَّوويِّ أنَّ (زعم) في كل هذا بمعنى: القول[4].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (زعم).

(2) الرّاغب، المُفردَات: (زعم).

(3) من حديث خالد بن الوليد ﷺ: «أنَّه شَكا إلى النَّبيِّ ﷺ فَزَعًا يَجِدُه باللَّيْلِ، فقالَ: ألا أُعلِّمُك كَلِماتٍ عَلَّمَنيهنَّ جِبْريلُ؟ زَعَمَ أنَّ عِفْريتًا مِن الجِنِّ يَكيدُني، فقالَ: قُلْ: أعوذُ بكَلِماتِ اللهِ التّامّاتِ الَّتي لا يُجاوِزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ ...» وذَكَرَ الحَديثَ؟ وهو مُرسَل، يُنظر: أبو حاتم الرَّازيّ، عللُ ابن أبي حاتم (2086).

(4) الآلوسي، روح المعاني: 3/ 65.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»